والتفاعل، لا السكون والانغلاق، كما أن كبار الفلاسفة سواء في القديم أو الحديث، لم يعدموا حاسة النقد والتمحيص لمختلف القضايا والمشكلات التي تعن لهم.

كما أن البحث في فكر إقبال، لا يعني أننا ننتقل إلى «المعاصرة» فقط، إن جاز هذا التعبير، بل سوف نرى من خلال النظرات والتحليلات التي قدمها مفكرنا، أنه وقف على العديد من الآراء والنظريات الفلسفية سواء في القديم أو الحديث، مما يدل على أنه لم ينطلق من العدم، إنما انطلق من أرضية فلسفية رصينة، وعاش حياة الفلسفة والتفلسف، وخبرها عن قرب، ومن هنا تكمن أهمية البحث والتنقيب في فكر هذا الفيلسوف.

لمحة عن حياته:

نود أن نشير إلى حياة محمد إقبال، إذ إن حياة الفيلسوف، تساعدنا كثيرًا في تفهم العديد من القضايا والمشكلات، وحياة المفكر لا تنفصل بمعنى ما من المعاني عن مذهبة وفكره.

يرجع نسب أسرة محمد إقبال إلى براهمة كشمير، أسلم أحد أجداده قبل ثلاثة قرون في عهد الدولة المغولية، كبرى الدول الإسلامية التي قامت في الهند، أسلم هذا الجد على يد الشيخ «شاه همداني» أحد أئمة المسلمين في ذلك العصر[1].

ولد محمد إقبال بن محمد بن نور في مدينة «سيالكوت» بإقليم البنجاب الذي يقع الآن في باكستان، بعد التقسيم سنة 1947م، وكان مولده 1877م[2].

(1) د. عبد الوهاب عزام: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص 15.
(2) أبو الحسن الندوي: روائع إقبال، ص 15.

ويبدو أن حياة الإنسان غالبًا ما تؤثر في شخصيته طوال حياته، ولهذا نشأ الصبي إقبال في باكورة طفولته على حفظ القرآن الكريم، وقد ذكر إقبال في ديوانه «أسرار الذاتية» أقولًا عديدة، تبين مدى حرص والده على تنشئته على الأخلاق الفاضلة وتتلخص هذه الحادثة أن سائلًا طرق بابهم ورفع صوته، وألح في السؤال، وخرج إليه إقبال وضربه على رأسه بشدة، فما رأى والده ما فعل ابنه اصفر وجهه، وانحدرت على خديه الدموع، وأقبل نحو ابنه وقال: تذكر يا بني جلال المحشر، انظر إلى لحيتي البيضاء، وتحول جسمي المرتعش بين الخوف والرجاء، كن يا بني برعمًا مزدهرًا في غصن المِلة المحمدية وكن زهرة بنسيم يقبل من ربيع المصطفى.

كان والداه صالحين تقيين، فأما أبوه فكان متصوفًا عاملًا كادحًا في كسب رزقه يعمل لدينه ودنياه. ويؤثر عنه أنه قال لإقبال حين رآه يكثر قراءة القرآن، إن أردت أن تتفقه القرآن فأقرأه كأنه أنزل عليك[1].

درس إقبال علوم الدين والدنيا، ثم ذهب إلى لاهور، ودرس في المدرسة الحكومية العليا، وتخصص في دراسة الفلسفة، وقد حصل إقبال على درجة الليسانس من جامعة بنجاب بلاهور 1898م، ثم على درجة الماجستير، ثم اشتغل مدرسًا للفلسفة في نفس هذه الجامعة، ثم سافر إلى إنجلترا سنة 1905م لاستكمال دراسته للحصول على الدكتوراه[2].

وكان إقبال في أوروبا كثير التحدث عن الإسلام وثقافته وحضارته، وألقى محاضرات في الإسلام نشرتها الصحف الكبيرة، وقد دلت آراؤه وشعره

(1) د. عبد الوهاب عزام، نفس المرجع، ص17.

(2) د. مريم محمد زهيري: محمد إقبال وأسرار الذات، الناشر مكتبة النجلو 1991، ص 10.

مـن بعـده، على أنـه لم يعجب بحضـارة أوروبا، ولم يخل عليـه تمويهها ولا أبرقت عينه لآلئوها[1].

وقـد وجد إقبـال في إنجلـترا سـوانح ذهبية للاتصـال بكبار الأسـاتذة والفلاسـفة من أمثـال: «ميكتا كرت» الـذي كان يؤمن بفلسـفة «هيجل» والأسـتاذين «براون ونيكلسـون» اللذين كانا من كبار أسـاتذة الدراسات الشرقية، وحصل إقبال على درجة الماجستير في الفلسفة من جامعة كمبريدج، ثم سـافر إلى ألمانيا، وتعلم فيها اللغة الألمانية في زمن قليل، ثم التحق بجامعة ميونـخ وقدم إليها رسـالته «تطـور مـا وراء الطبيعة في فـارس» لنيل درجة الدكتوراه في الفلسـفة، وهذه الرسـالة تعد أول كتاب له في الفلسـفة عرِف الناس بواسطته مقدار حب إقبال للنظر والبحث وسعة اطلاعه في الفلسفة، ثـم عاد إقبـال إلى لنـدن ودرس القانون، واجتـاز المحامـاة، والتحق كذلك بمدرسة العلوم السياسية زمنًا[2].

عاد إقبال إلى وطنه سـنة 1908م بزاد كبير من المعارف والتجارب وعدد وافـر من الشـهادات والدبلومات، وبـدأ مهنة المحامـاة بالإضافة إلى عمله كأستاذ للفلسـفة في جامعة بنجاب بلاهور. ومن هنا بدأت حياته الشعرية في الحقيقة. وسـاعدته في هذا الصدد خبراته الواسـعة في أوروبا ودراسـاته الشاملة عن الحضارة الغربية ومقوماتها ومحاسنها ومساوئها فبدأ بإنشاد شعره الأدبي والفكري لإيقاظ المسلمين[3].

(1) د. عبد الوهاب عزام، المرجع السابق، ص29.
(2) الندوي: نظرات جديدة في شعر إقبال، ص12-11، أيضًا عبد الوهاب عزام: إقبال، حياته وفلسفته وشعره، ص28 - 29.
(3) نفس المرجع ، ص 12 - 13.

كانت حياة إقبال حافلة بالعطاء، فلقد اشترك في مؤتمر الطاولة المستديرة سنة 1931م، 1932م في لندن، وكان المؤتمر ينظر في دستور جديد للهند[1].

وكان إقبال أول من دعا إلى أن تقسم الهند، فيكون للمسلمين بها موطن يخصهم، إذ رأى مُحال أن يعيش سكان الهند جماعة واحدة أو جماعتين متعاونتين[2].

لقد ترك لنا مفكرنا وشاعرنا محمد إقبال العديد من الكتب والدواوين التي تكشف لنا عن عمق أفكاره وغزارة اطلاعه على الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية قديمها وحديثها[3].

توفى إقبال في الحادي والعشرين من شهر إبريل سنة 1938م، ومن حياة مفكرنا، يمكننا القول مع الأستاذ عباس العقاد: إن الشرق مازال، ولن يزال بحاجة إلى عظمائه النابغين، و إن إقبالًا هو تراز العظمة الذي يتطلبه الشرق في الوقت الحاضر وفي كل حين[4].

«الذات» في اللغة والفلسفة:

لفظة «الذات» من المصطلحات البارزة عند إقبال، بل هو - كما سيتضح -

(1) د. عبد الوهاب عزام: نفسه ص 39.
(2) د. عبد الوهاب عزام، المرجع السابق ص 39.
(3) د. عاطف العراقي: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، الناشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، طبعة أولى سنة 1995م، ص 187.
(4) عباس العقاد: مقال «فريضة إنسانية» ضمن سلسلة مقالات لكبار الكُتاب، الناشر سفارة باكستان بالقاهرة1952م، ص38، وعثمان أمين: مقال لرسالة محمد إقبال (المرجع نفسه ص 74).